إبراز الجوانب البلاغية في قصائد المفتي جميل أحمد التهانوي

Highlights of the Rhetorical Devices in Jameel Ahmed Thanvi's Poems

د. رابعة عمر حيات

أستاذة مساعدة

القسم العربي، كلية جناح للشهادة المشاركة (بنات)، مزنك، لاهور

Email: rabiaomarhayat.roh@gmail.com

ABSTRACT

Mufti Jameel Ahmed Thanvi owes much of his fame and recognition to his association with Mufti Muhammad Ashraf Ali Tanvi. Not only did the former enjoy the privilege of being taught by the late Ashraf Ali Thanvi, but also had the honor of getting married to his daughter. He completed his early education from local religious institutions and strated teaching after graduation from Mazahir-Al-Uloom Madrassah.

Owing to his academic efforts, which focused on Shari'ah and Arabic and Fiqh, Mufti Jameel gained command over Urdu, Persian and Arabic languages, and he attempted to compose poetry in all three. The purpose of his poetic works in Urdu and Persian were not to act an artistic outlet but to be an educational source of life's experiences, and as far as his poems in Arabic are concerned, he wrote thirteen poems. Two of them were in tribute of Prophet Muhammad peace be upon him. Rest of the Arabic poems composed by Mufti Jameel Ahmed Thanvi were majorly elegies in honor of his own teachers and elders. Mufti's rich Arabic vocabulary, command over grammar and rhetorical aspects are clearly reflected through his poems. This research will aim at highlighting the rhetorical devices used in his Arabic poems.

Keywords: rhetorical devices, embellishments, Jameel Ahmed Thanvi

الملخص:

ينتمي المفتي جميل أحمد التهانوي إلى دوحة الأستاذ المفتي محمد أشرف علي التهانوي حيث كان التلميذ المطيع المجتهد الذي تشرف بصحبته في سبيل العلم الديني والقران بربيته بعد ذلك. تلقى تعليمه الإبتدائي في المدارس المحلية في الجزء الذي بقي في الهند بعد قيام باكستان. عمل المفتي في التدريس بعد تخرجه من جامعة مظاهر العلوم واشتهر بكونه مفتياً وفقيهاً بارعاً. ألَّف العديد من الكتب في شتى الموضوعات الإسلامية. ومع غلبة الطابع الإسلامي والعلمي على نشاطاته فإنه اشتهر بين أصحابه

بقرظه للشعر باللغة الأوردية والعربية والفارسية. ستهدف هذه المقالة إلى دراسة قصائده العربية لإبراز الجوانب البلاغية فيها.

قصائد المفتي جميل أحمد التهانوي العربية:

كان المفتي جميل أحمد التهانوي فقيهاً عالماً، مفتياً فطيناً وواعظاً حكيماً. وقد أودع في شعره ما عنده من العلم والحكمة والموعظة الحسنة. فجاءت أشعراه معلمة ومنبهة، لا لاهية وملهية. شأنها شأن صاحبها الذي شغلت باله مسائل الناس وحلولها. وغير ذلك فقد صرفه المفتي عرفاناً بالجميل لأساتذته ومشايخه حيث سكب محبته ومودته وتعظيمه في مرثيات تثير لوعة الفراق.

يقول الدكتور خليل أحمد التهانوي نجل المفتي جميل أحمد التهانوي وسأنقل كلامه مترجماً من الأردية إلى العربية وبالله التوفيق: "كان المفتي ينظم الشعر كلما تاحت له الفرصة أثناء قيامه بأعماله العلمية وأحياناً يكتب الشعر ويرسله إلى أحد الدوريات الشهرية فإذا نشر ظهر على الناس، وإن لم ينشر فكان لا يبالي بأن يقرأه الناس أو يسمعوه. أما حب الشعراء بأن يلقوا أشعارهم بأنفسهم على مسامع الناس فقد كان معدوماً فيه."[1]

شعر المفتي بالعربية يضمن ثلاث عشر قصيدة منها قصيدتان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وهو الفن الذي تفنن فيه أهل شبه القارة الهندية لكن براعتهم في مختلف العلوم والفنون خاصة العلوم الدينية جعلهم يهتمون باستخدام الألفاظ والعبارات ذات الصيغة العلمية.2

وشعر المفتي جميل أحمد التهانوي الذي جاء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حافل بتلك الظواهر التي تؤيد غلبة الطابع العلمي على شعره. أما جلّ شعره فكان في رثاء شيوخ و أئمة سكب المفتي جميل أحمد التهانويلوعته لفراقهم وبين محاسنهم ودرجاتهم بياناً حسناً.تضمن مراثي المفتي عشرة قصيدة و من اللذين رثاهم:العلامة أشرف علي التهانوي عدداً من علماء ومشايخ عصره وهم: الشيخ العلامة حسين أحمد المدني، الشيخ المفسر محمد رسول خان الهزاروي، الشيخ القاريء محمد طيب، الشيخ الشاه محمد عطاء الله البخاري، الشيخ المحدث محمد إدريس الكاندهلوي، الشيخ العلامة عبد الرحمن الكاملفوري، المحدث العلامة ظفر أحمد العثماني، المفتي محمد شفيع الديوبندي، الشيخ أحمد علي. وللمفتي قصيدة ألقاها في حفلة ترحيبيّة للواردين في مسابقة القراءات في الجامعة الأشرفية بلاهور.وغير ذلك له قطعتان تضمنان مزاحا و ظرافة.

الجوانب البلاغية في قصائد المفتي جميل:

مفهوم البلاغة هي حسن البيان وقوّة التّأثير – كما في المعجم الوسيط –، وتعني أيضاً الوصول إلى المعنى بكلام بليغ، و يجب فيها مطابقة ومشابهة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. علوم البلاغة علم

المعاني: و هو العلم الّذي يبحث في تراكيب الكلام وأساليبه، ويجب مراعاة كلٍّ من المعنى الّذي نريد التحدّث عنه، واللفظ الذي يعبر عنه هذا المعنى. علم البيان: البيان لغة يعني الكشف و الظهور. أمّا اصطلاحاً فهو قواعد معيّنة يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرقٍ متعدّدة مختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى. علم البديع: وهو العلم المختص بتحسين أوجه الكلام اللفظيّة والمعنوية.

وقد برع المفتي جميل أحمد التهانوي في توظيف جميع الجوانب البلاغية في قصائده، وفي ما يلي عرض سريع لأمثلة من قصائده:

الجوانب البيانية:

1- التشبيه

يوماً تقشع ظلمة ظلماء وتألق الأنوار والأضواء
مثل الضحى للفجر منه ضياء فتلألأ الآفاق والأرجاء

هذه الأبيات هي مطلع قصيدة يمدح بها المفتي جميل أحمد التهانوي خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، وقد شبه فيها يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بالضحى الذي يضيء فتلألأ الآفاق والأرجاء من ضيائه. ولأن أداة الشبه ووجه الشبه موجودان فهو إذن تشبيه مفصل مرسل.

عرق كريحان وورد فائح كالعطر تأخذ الزواج نساء

شبه المفتي جميل أحمد التهانوي عرق النبي صلى الله عليه وسلم بالريحان والورد الفائح وبالعطر، وهذا تشبيه الجمع لأن المشبه به متعدد دون المُشَبه، وهو تشبيه مرسل لذكر أداة الشبه فيه.

2- المجاز المرسل

من للمغالق منه مفتاحاتها من للخفايا عنده إعلان

الحل للمصائب والمشكلات هو المراد من "المفتاحات" فلم يرد بها معناه الأصلي أي التي تفتح بها الأبواب، وجاءت كلمة "المغالق" قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

وقد كان التصوف في خمول فأعطاه السناء مع الثناء

"خمول" من المجاز المرسل وهو أيضا يطلق على حالة تعتري الإنسان لا التصوف. أما هنا فأراد به المفتي جميل أحمد التهانوي الترجع وعدم التقدم، وكلمة التصوف هي القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي.

3- الاستعارة

من آدم ولولد آدم سيد مسك الغزال وحوله الأعضاء

في البيت "مسك الغزال" استعارة تصريحية، حيث استعار المفتي جميل أحمد التهانوي هذه الكلمات لذات النبي صلى الله عليه وسلم والعلاقة المشابهه وهي أصلية باعتبار اللفظ المستعار.

قمر منير ساطع أنواره لكن على إشراقه استحياء

"قمر منير" استعارة تصريحية لذات النبي صلى الله عليه وسلم وهي أصلية باعتبار اللفظ المستعار.

4- المجاز العقلي

لمعات أنوار زهرت وتساطعت فقد ارتدى الأضواء فيه فضاء

"ارتدى" فعل استعمل للفضاء من باب المجاز العقلي. والارتداء أصلاً من أفعال الإنسان.

بطل مبطل ما أبدعه مبتدع هزمت جيش أباطل له بنت فم

"هزمت": استعمل هذا الفعل لبنت فم (الكلمة أو الكلمات) ، وهذا ليس استعمال أصلي للفعل، إنما يهزم الجيش جيش مثله.

5- الكناية

كان الرسول نبينا من قبل أن عجنت لآدم تربة والماء

"عجنت لآدم تربة والماء" كناية عن خلق آدم عليه السلام، وهي كناية بعيدة.

بمكارم الأخلاق مبعوث لهم "خلق عظيم" برده وعباء

"خلق عظيم برده وعباء" كناية عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة، وهي كناية عن صفة.

الجوانب الدلالية:

1- الخبر

رفع الرؤوس على النجوم تبختراً وتفاخراً بالالتماع وهباء

خبر ابتدائي غرضه المدح والفخر.

قد كان فيه لكل عبد أسوة كي يتبعوه وهم له نظراء

خبر طلبي مؤكد "بقد" والغرض منه المدح.

2- الإنشاء

أتأديب رب الناس في تعليمه من غير واسطة فنعم حباء

هذا إنشاء طلبي: استفهام، غرضه الإخبار. أي أن رب الناس هو الذي أدب الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليمه.

يا رب صل على النبي المصطفى تعداد ما في علمك الأشياء

هذا إنشاء طلبي: نداء، وغرضه الدعاء.

الجوانب البديعية:

1- المحسنات اللفظية

أ) الجناس:

وخلائق ما عندهن خلائق فيهن للخلق الكريم لواء

"خلائق" الأولى بمعنى المخلوقات و "خلائق" الثانية بمعنى الأخلاق. وهو من الجناس التام المماثل لكون كلا اللفظين إسم.

قد شع من وجه الزمان أشعة فكأنه حين الذكاء ذكاء

"شع" و "أشعة" فيهما ما يلحق بالجناس أي الجناس المطلق فكلا اللفظين يتلاقيان في الاشتقاق. أما في الشطر الثاني، كلمتي "الذكاء" و"ذكاء" من الجناس التام المماثل.

ب) الإطناب:

حاشاك حاشاك عن شر ورؤيته فالله يعصم إذ من عنده العصم

كرر المفتي جميل أحمد التهانوي كلمة "حاشاك" مرتين بغرض التأكيد.

شكراً فشكراً فشكراً حين أدخلنا في أمة غبطتها كلها الأمم

كررت كلمة شكراً ثلاث مرات للتأكيد والتعظيم، فالمفتي جميل أحمد التهانوي يشكر الله ويعظم شكره بأن أدخل المسلمين في أمة محمد صلى الله عليه التي هي خير الأمم.

ج) الإقتباس:

وجوامع الكلم الفصيح لفظه حارت به الفصحاء والبلغاء

مدح المفتي جميل أحمد التهانوي النبي صلى الله عليه وسلم مقتبساً من الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "نصرتُ بالرعبِ وأُوتيتُ جوامِعَالكلمِ".

ما لنا كلنا ناقف الحنظل فلق الصلب غماً ولا ينجلي

فيه تضمين حيث أشار إلى بيت من معلقة امرؤ القيس:

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حنظلِ

"فناقف الحنظل" كناية عن شدة البكاء كما يحدث لمن يشق الحنظل ليستخرج حبوبه. وهنا نذكر أن المفتي محمد شفيع العثماني ضمن هذا البيت في شعره أيضاً:

فلست على ما بي كناقف حنظل لدى البين لم يقدر على السر والكتم

2- المحسنات المعنوية

أ) مراعاة النظير:

يوما تقشع ظلمة ظلماء وتألق الأنوار والأضواء

مثل الضحى للفجر منه ضياء فتلألأ الآفاق والأرجاء

لمعات أنوار زهت وتساطعت فقد ارتدى الأضواء فيه فضاء

في الأبيات السابقة العديد من المعاني الموافقة والمتناسبة.

وخاتم لقوى المخلوق قوته في الجسم والروح أو في الذهن ترتسم

"الجسم والروح والذهن" معان تتآلف فيما بينها.

ب) التورية:

ظفر إذا ما فات عنا لم يكن عند المساعي النجح من خسران

يا ليت ربي يؤتنا من بعده ظفراً وإنجاحاً من النقصان

كلمة "ظفر" في البيتين السابقين لها معنى قريب وهو إسم المحدث العلامة ظفر أحمد العثماني، لأن المفتي جميل أحمد التهانوي ضم هذه الأشعار في مرثية يرثي بها إياه. أما المعنى البعيد فهو الظفر بمعنى الفوز والفلاح وهو المراد به في البيت الثاني خاصة.

ج) الطباق:

قوم على الأقوام منهم غارة فكأنهم آباء أو أبناء

"آباء أو أبناء": تقابل التضايف وهو من أنواع الطباق.

الأولون والآخرون علومهم في عمله مجموعة سحاء

"الأولون والآخرون": تقابل التضاد.

فملائك جن وإنس جوهر عرض نبات هذه الأحياء

"جن وإنس": تقابل التناقض.

الخاتمة:

إن الإنسان يستمد تصوراته، وتتربّى ادراكاته على حسب ما يراه ويحيط به من المشاهدات والمعقولات. وعلى قدر بلوغ ذلك من نفسه واستيلائه على حواسه، تكون درجة الإدراك لديه. وباختلاف البيئة يكون اختلاف الناس في عقولهم وادراكاتهم وتربيتهم. فليس من يعيش بين العلماء

كمن يعيش بين الجهلاء. فالإنسان إذاً ثمرة البيئة الطبيعية والإجتماعية والأدب من شعر ونثر – من أثر العقول والقرائح – ثمرة من ثمار الإنسانية ونتيجة تربية العقول والنفوس. وبما أن المفتي جميل أحمد التهانوي كان رجل دين ودعوة وفقه وإفتاء، مع خلوص الإنتماء والإحترام لأساتذته الكرام، نجد هذا منعكساً في قصائده العربية.

أما أسلوبه فيغلب عليه أسلوب الشعر القديم سواءً في اختيار الألفاظ أو المعاني كما غلب طابع العلوم الدينية حتى كادت أن تغلب على جماليات الشعر الإبداعية.

الهوامش

1مترجماً من جماليات جميل، ص 27

2همداني، حامد أشرف، الشعر العربي في باكستان (1947-2000م) – دراسة نقدية. رسالة دكتوراة، القسم العربي بجامعة بنجاب.

المصادر والمراجع

1. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة 1414ه
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1998م باعتناء نجوى ضو.
3. أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب. مطبعة السفور، القاهرة – مصر. الطبعة الأولى 1921م.
4. إبراهيم مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية)، المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الرابعة 2004م.
5. ابن الرشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). دار الجيل. الطبعة الخامسة 1981م.
6. التهانوي، خليل أحمد، جماليات جميل. إدارة أشرف التحقيق والبحوث الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية لاهور. 1429 ه.
7. التهانوي، خليل أحمد، عكس جميل. إدارة أشرف التحقيق والبحوث الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية لاهور. 1429 ه.
8. الحافظ، رشيد أحمد. القصائد العربية للمفتي جميل أحمد التهانوي – أطروحة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة البنجاب. العام الدراسي 1999-2000م
9. ناصف حفني وآخرون، دروس البلاغة، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله. اعتنى بهما محمد بن فلاح المطيري. مكتبة أهل الأثر، الكويت. الطبعة الأولى 2004م.
10. همداني، حامد أشرف، الشعر العربي في باكستان (1947-2000م) – دراسة نقدية. رسالة دكتوراة، القسم العربي بجامعة بنجاب.